الغد

الغد العالمي | موقع الكرة الأردنية | الغد

ابحث

الأربعاء 15 تموز 2009م
22 رجب 1430 هـ

الغد موبايل
إشترك الآن
Adobe PDF النسخة المطبوعة
خدمة RSS
الأرشيف

كاريكاتير

الأردن وصور العاصفة!

عدد التقييمات 7 : ★★★★★ التقييم : جيد جداً
تقييمك:

2009/7/15

الأردن وضد نشأته ارتبط بالنظام السياسي العربي بكل مكوناته، غير أن فاعلية هذا النظام لم تكن يوما بالمستوى المطلوب.

الدور الإقليمي لأي دولة ورقة قوة خارجية وبقدر عبور إلى المجتمع الدولي، وعكسه اضمحلال وغياب كبير

شكلت العقود السنة الماضية من عمر المملكة الأردنية الهاشمية مراحل انطلاق وتحد كبيرة، تمكن خلالها الأردن من الصمود وتجنب المكائد والأهوار برغم احتلال إسرائيل الضفة الشرقية منذ الحرب عام 1967م، ورغم تعرض المملكة لحرب داخلية في عام 1970م. كما كان الأردن وقتها وعبر هذه التحديات وبمواجهتها أكثرة والمضرة من تحقيق كثير من الإنجازات في بناء المملكة وتطورها، وعلى الأخص في مجالي التعليم والصحة، إضافة إلى الأعمار والبناء وأساسيات البنية التحتية.

ورغم ما تعرض له الأردن من عواصف هوجاء هبت على المنطقة، غير أنه خرج منها بخبرة وقوة جديدة استوعبت الصعوبات ومفهومات التقدمي، ولكن التواضع والتعاون مع توقف لاختبارات التحديات بحالة إلى كبح الفلسطيني مختلف حيث أتخاوت معه على مواجهة التواضع والربح التعاونية والتحديات التي تواجه الأمة في مصيرها وأمنها وتقدمها، ما يعني أن الأردن ما برح يعد الدولة ليكون وطنا للفلسطينيين بديلا وعودة نظرية الوطن البديل إلى ملعب السياسة الإسرائيلية علانية، وتمر أولويات الولايات المتحدة ووثيقها للمنطقة إزاء الأدوار الإقليمية للأعمى التقليديين الذين كان الأردن من سيقاه.

أولا: المبادرة العربية للسلام

شكلت المبادرة العربية للسلام بنيتها في مؤتمر القمة الفلسطينية، حيث قدمت خارطة طريق الكيان الصهيوني في جال استحاله من الأراضي المحتلة عام 1967 بالمبادرة العربية وحتمية الأمة الواحدة 242، هذه المبادرة تعتبر بالتطبيع العربي الشامل معه، ووقع اتفاقات سلام حتى لدول التي لا تكاد تسمع بأسرائيل، وكذلك بقوض هذا المفاوض على الأرض وتجنب الحرب الأخيرة، وتعتبر الأخيرة بالحل العادل، وبالطبع يتم التوقيع في الأردن الأمة الأمم المتحدة وسيرائيل ومعظم دول العالم والقوة الفلسطينية منتقدة في منظمة التحرير تحت وطنية ضيعة، ما يعني أن الأردن ما برأى وطرأ لدى هذه الدولة ليكون وطنا للفلسطينيين بديلا عن وطنهم؟ وليس أبعد القضية، فإذا أضفنا إلى ذلك طبيعة الدولة الفلسطينية التي بضت لعملة خريطة الطريق، فإننا سنجد مجدوم مؤلفة وصورة السلام، وعلى حرب من الهيئة العربية وقطاع غزة بعد بقطع نظرية تبادل الأراضي سيئة السمعة، أدركنا أيضا أن الأردن هو الدولة التي سيتحمل العبء الأكبر في هذا الحل بوصف الأردن دولة. فمستوى ممكن أن تتحرك بها الدولة الفلسطينية مفوضة السيادة قانونا بعملية كونفدرالية أو فدرالية أو تحاذية غير متكافئة، لتخلص إسرائيل من عبء السكان من دون أن تسمح بالسماحة الكاملة على الأرض والجو والحدود والمنوات، ما يجعل الأردن بدلة أمنه في حال بتحقيقه وطنا وقاعا للفلسطينيين من فلسطين حتى المحتلة منها عام 1967م.

ومن هنا قال الرئيس الذي يتبع لدوره الولايات المتحدة وإسرائيل عبرنا لتعديل المبادرة العربية كما بالضبط التمس على عدم الاستقلال منها وقبل موافقتها على المبادرة، الأمر الذي يلقى فوق عدد عدد من العرب لإرضاء الولايات المتحدة، وتتوقف عن زعيم جماعات المعلومات التي تؤكد دعوة أطراف الفلسطينية للتحامس الإسرائيلي بالأراضي وتحويل بتطبيق خريطة الوطن البديل، وتنبي قد تستفيد من الدعوة إلى العلمية الدستورية في داخل المملكة في هذا التوقيت بالذات، وبما تستغلها فوق داخل الإدارة الأمريكية، وتأتي تعهد العملية السياسية لاستيعاب الوطنية الجديدة في ظل مستوى التوقيت والدولة الفلسطينية مزنوعة السلاح.

وكذلك فإن الأمن الأردني الكامل للمبادرة العربية وكما هي تم بكل في مصلحة المملكة، فإن الأردن يملك اليوم أدوات أساسية بمكنه من الحفاظ عليها، وتحقيق الأمة الداخلية، وفي الفهم بتمني الجبهة الداخلية، وحاجة فيما يتعلق بوحدة الشعب في أمنوه أردنية وفلسطينية. وإعادة النظر بعض السياسات التي تشكل بيئة لقوى خارجية بمكن يوضح وكالوة وتلك الساحة للحل الإسرائيلي بشكل أو بآخر، كما يستطيع الأردن أن يبدي بخطابه السياسية الرسمية على المبادرة بعيدا عن مخاطبة أصحابها، حتى لا يحمل الأردن مسئولية مسؤولية السياسة الإسرائيلي بوصفه مواقفا عليه، وتحصنا لمبادرة العربية للسلام!

ثانيا: نظرية الوطن البديل

كانت نظرية الوطن البديل أساس تحولها الإسرائيلية التقليدية للتسوية السياسية وحاجة بعد حرب عام 1967م، وتسب الأحزاب الإسرائيلية في رؤاها السياسية هذه كبيرة الأمة بأشكال ومكونات متعددة لا تجرح عن كونها نظر للأردن بوصفه جزءا من وحد بقوم الذي تخلى عنه الإسرائيليون، حتى يكون وطنا لفلسطينيين لتنهو فلسطين كما الهوى، وتبقى الأمة الأردنية، وتبقى الأمة الأردنية، كوطن للفلسطينيين لصنع قيام الدولة الفلسطينية أصلا، وتعافى بعض الدول والشخصيات الفلسطينية من هذه التوجهات، غير المقالية بالعلاقات الدولة حتى لو تشهر أو أربع وعشرين سنة كما قال أحدهم يوما: حيث أصبح مطلب التحرير لفلسطين متحققا تماما في إقامة دولة فلسطينية ما!

والمؤتمر بطرح شيافوط الدولة بتمثيل بالتحليل استقر الشعب لأنه إما حاقول بحقيقة الأمة الإسرائيلية التاريخية أو أنه لا يريد أن تضيع هذه التوجهات على الحقائق، كما أنه لا يريد أن تلقى إسرائيل تأثرة المفاوضات: حيث تبدأ الخيار الجزء المتاح أمامه والبرنامج السياسي الوحيد الذي يطرحه، ما يعطي فرصة للمعارضة الوطنية وقوى المقاومة أن تقدم سخطا، وتلقى كل حال قد تبدأ تستأنف عن الحقيقة بطرحه الأمر ليعيد الدرس، على الغرب بشكل أوضح، ومن هنا قال الأردن أوضح تحت التهديد العاشر من رئيس الحكومة الإسرائيلية كوخل بدخل أو غيره، وكذب إسرائيل أيدوم وهذا الوقت المتحدة والاتحاد الأوروبي برك أن فلسطين هي دولة اليهود فقط، وأن الفلسطينيين يمكن توظيفهم في الدول العربية المحتلة صاحبة المساحة الكبيرة والثروات، وفي أسس الدعاية الصهيونية دائما التي سادت أوروبا إبان حرب عام 1948م.

ومن الناحية الواقعية فإن معاهدة وادي عربة، لم تؤثر أبات كاملة لمعمع مثل هذا الخيار، وكذلك فإن تفاهم نص نظرية بهوية الدولة والتوطين للاجئين أو المهجرين الفلسطينيين في الأراضي المحتلة عام 1948م إنما يجعل الأردن في ثلث القضية، وجعلها مستوفية بشكل هاشم من قبل البرنامج الصهيوني الجديد مدعوما بقوى دولية وعربية وفلسطينية، وفي حال أراد الأردن أن يمنع تحقيق هذه الأخطار، ومنع تنفيذ هذه التوجهات، فإن العربية ما تزال مؤاية لتبني حملة عالمية كبيرة وواسعة على نتيناهو، خصوصا في حال خلافاته مع الإدارة الأمريكية، ووقف استقباله في عمان والتعهد بالقاء المعاهدة في حال استمر هذا التوجه، خاصة أن إسرائيل أبوم نمر بمخاض إعادة أمنها الأعمى والعسكري بعد الحرب التي تلقتها في لبنان عام 2006م، وفي غزة عام 2009م، وبالطبع فإن الأردن كذلك بحاجة إلى تعوان الفلسطيني يتحالف معه لتحقيق هذه الغاية، وقد ظهر من خلال التجربة الماضية أن قيادة السلطة ترتبط بالضرورة الأمريكي والإسرائيلي أكثر بكثير من اهتمامها بالأمن الأردني، ما يتطلبها حيازة مصيدتها لانجاح الجهد الأردني، وحتى في هذا السياق التفاوض رسالة جاءت مشتق رئيس حماس بوقف المطلق للوطن البديل وخاصة في الأردن على حد تعبيره.

ثالثا: دور الأردن الإقليمي

يعتبر الدور الإقليمي للدول من مقومات الهوية الخارجية، وهي مؤهلاتها الأساسية للتعب دور في رسم سياسات المنطقة التي تعيش فيها على أقل تقدير، وتقدم الدول، تريدها بتأمين نفسها إقليميا، خاصة في ظل التحديات والمخاطر الخارجية، وتلقى العالم الحديث إلى تشكل دولة الخارجية وسياسة وأمنية القيمة في محاولة للتوقف عن أحد عدوان كذلك بحاجة إلى تعوان الفلسطيني يتحالف معه لتحقيق هذه الغاية، وقد ظهر من خلال التجربة الماضية أن قيادة السلطة ترتبط بالضرورة الأمريكي والإسرائيلي أكثر بكثير من اهتمامها بالأمن الأردني، ما يتطلبها حيازة مصيدتها لانجاح الجهد الأردني، وحتى في هذا السياق التفاوض رسالة جاءت مشتق رئيس حماس بوقف المطلق للوطن البديل وخاصة في الأردن على حد تعبيره.

في جهة أخرى فقد بدت الدول الكبرى ذات المصالح في الوطن العربي إلى تحقيق علاقات تبادلية مع دول المنطقة وهنا الأردن، وتبدو فيه تشكل كل دولة عربية دور الأساسي برتبط بطبيعة تعاملات الدولة، ما جعل الجانب يبلسموهن مرات عديدة وهضبيات هذه ما يؤاتي وفي مصالح وسياسات هذه الدول، فما أن انتهت حقبة الوجهة والتقدمية حيز دخلت حقبة المحتمي السوفي والغربي لتنتهيا حقبة الوطنية، وتنتهيا الوجه حقبة الاعتدال والتطرف وفق نظرية المحافظين الجدد في الإدارة الأمريكية السابقة، ومنذ الغرب دوما ما يظلق عليهم الأخوون من سيفيات.

هذا وقد ارتبط تاريخ الأردن وتطوره بالقضية الفلسطينية ذات البعد الدولي والتي تشكل قوما إسرائيل ضلعة استراتيجية للولايات المتحدة، حيث كان من المهم للسياسة الأمريكية دوما بتحيد الأردن من المواجهات الصعبة ما أمكن برغم أن إسرائيل لم تلزم بذلك عام 1967م.

وبعد تولي الملك عبدالله الثاني مقاليد السلطة عام 1999م طرح الأمريكيون وبعض الكيان الصهيوني في الولايات المتحدة تعبرها لدور أردني الشبعي يسهل الدعم الاقتصادي للأردن أساسية دعم عملية السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وتدعم السياسة الأمريكية هيد نظام عدام حسين، وكذلك المشاركة في الحرب على ما يسمى بالإرهاب، ورغم أن الأردن لم يقف موقفا معادوا لسياسات الولايات المتحدة قدر وضرها، غير أن إدارة جورج بوش الابن في أدارت ظهرها لمصالح الأردن وتجاذبه حتى الاقتصادية منها، وليت عدم أكبرات واضح في نهاية عهدها به وبدوره، خاصة ضدعا أخرب محدود بالنسبة في الإدارة الأمريكية، والضح بقد برنامجها بالكامل فيما يتعلق الشأن الفلسطيني، وعدم استمرار الأمر لفريق حليف لأمريكا وجيش قوي أبدية هي في الأدوار، وقد تراجع أهمية الحرب على ما يسمى بالإرهاب، فقد أفقد الأردن الأهمية النسبية السابقة في سياسات الولايات المتحدة إزاء هذه المسائل التي، خصوصا في ظل انحدار الأمريكي لدول دون الاعتداد العربي، وتجاذب محور المعاهدة والمقاومة في هزيمة إسرائيل عسكريا وأمنيا مرتين، وانتماع الولايات المتحدة بعد ذلك على كل من إيران وسوريا وإدراء حركات مقهورة، وكذلك في ظل تراجع الدور السعودي والمصري عربيا، فقد أصبح الأردن عمليا بلا غطاء في هذه الدول، وترى وحده بحاجة إلى أضدادة واضحات حيالية، وكذلك لبواخرة عضوية السياسي أمام عواصف الوطن البديل وتهديداته.

وكذلك فإن الأردن يبحث عن أوراق حقيقية يمتلكها ليتأهل كلاعب إقليمي مهم، وهنا يقع أمام دوره الإقليمي ويحدد أوراقه الفاعلة، لا أن يضيف بأوراق لا تعب في مصالحه بقلة، أو أن يسير سياسات تطلب عليه بعد استبعاد أصدقائها أغراضهم منه، ولا يمكن والحال هذه إلا أن يطلق بأهمية للدور الإقليمي للأردن، فالدور الإقليمي لأي دولة وقوة فوق الحرب وتطلقه غير في المجتمع الدولي، وكسب الصداقة، وأمنى كبير، وذلك لأن الحسب عن عدائية أردنية لرسم دور أردني عربي قوي، أحد بالاعتبار العدوى الفلسطيني والعراقي، كما يأخذ بالاعتبار احتياجات الأردن واستمرارة الداخلي، يتطلب إعادة النظر بقيمة الأوراق الفاعلة التي يمكن أن يظهل الأردن لدى الإقليمي الفاعل يعمل على تقوية واستقلاله وحماية أهمية وقوته الاقتصادية، ويبقيه في ملعب سياسات المنطقة العربية والدولية، ويستعنى بالتالي على التعويض أو الاقتصاد كما يحلو للبعض أن يفعل، وهو أمر بحاجة إلى وعي وطني داخلي بين القوى السياسية المختلفة، كما أنه بحاجة إلى موضوعية في الاختيار والقراءة للتحولات وتفهيم الأوهال من قبل النخب السياسية العربية من الحكم، بعيدا عن المواقف المسبقة والاستقاطات النظرية مع الدول الأخرى، وحتى لا يقوت القطار ويمض ننتظر وقوفه على محطة قد لا يكون فيها ما كنا نضعه أو نريد.

ويجدر بالذكر هنا أن وفرة القوى الداخلية، والوحدة الوطنية، والتحالف الكامل بين القوى السياسية القوامة بضرورة الحماية الأردن والدفاع عنه، والتحالف مع قوى صادقة ومخلصة فلسطينية وعراقية وعربية أخرى تؤمن بأمن الأردن واستقلاله، إنما يشكل ركيزة ومهم وجوّر له.

رؤية استراتيجية لعودة القاعدة ومواجهة التحديات

يمكن في ضوء التحليل أعلاه عرض مكونات ومحاور وأسس استراتيجية أردنية فاعلة لمواجهة التحديات وتبقى القاعدة، وفق التجربة التاريخية، وفي الأدوات التجاحة، ووفق القراءة السياسية الاستراتيجية للتحولات في المستوى الثلاث العاملة، ومن أهمها:

1- فتح الحوار الوطني بين القوى السياسية ونظام الحكم للتوصل إلى قواسم مشتركة لحماية الأردن والدفاع عنه، وبلورة المواقف المشتركة من مختلف القضايا بحدها الأدنى.

2- إعادة النظر بالتحالفات القائمة لخلق تحالفات أكثر تماسا وديمومة وفاعلية في الساحتين الفلسطينية والعراقية.

3- شن حملة إعلامية ودبلوماسية وشعبية واسعة على الحكومة الإسرائيلية الحالية، وعلى مواقفها ضد الأردن والشعب الفلسطيني، والتعامل على عزلها دولياً، وبالتالي عدم التعامل معها.

4- إعادة النظر بموقف الأردن في المبادرة العربية ما لم تنص على رفض توطين اللاجئين خارج فلسطين التاريخية، وأن الدولة الفلسطينية هي في فلسطين وليست في الأردن.

5- وقف الاعتداد على العامل الخارجي للحماية والدعم بالسياسات الدولية، وحاجة سياسات الولايات المتحدة، في تحديد الدور الأردني الإقليمي، والعمل على بلورة دور إقليمي أردني فاعل وأساسي، وفي إرادة أردنية داخلية بعد عربي إسلامي، وهرادة وفعلية للمطلوبات.

6- تحسين الجبهة الداخلية بين الأصوات المختلفة، وخاصة الفلسطينية والأردنية، ووقف كافة السياسات والإجراءات والنظم والممارسات والقوانين التي تسبب أي نأيم في هذه العلاقة أو تتيح الفرصة لاستغلالها من قبل المتربصين.

***مدير مركز دراسات الشرق الأوسط-الأردن**

ورئيس تحرير مجلة دراسات شرق أوسطية

جواد الحمد

انشر تعليقاتك
عمر عبد ربك هي أن هملك
عمر هوشي الغد الإلكتروني
الغد.jo
مجد الحرية
أرسل لصديق | حفظ | طباعة

الأسم*
البريد الألكتروني*
الدولة
عنوان التعليق*
التعليق*
الأردن
* الرجاء تعبئة البيانات المذكورة
إرسال

جميع حقوق المؤلف والنشر محفوظة لجريدة الغد- 2009 © (شروط استخدام الموقع)